

أحاديث رمضان ١٤٣٠هـ - الفوائد - الدرس (٣١-٠٢) : حب الدنيا رأس كل خطيئة  
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٩-٠٨-٢٩

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

**أخطر شيء في حياة المسلم أن يعتقد ما يريعه وأن يرفض ما يزعجه:**

أيها الأخوة الكرام، مع فائدة جديدة من فوائد الكتاب القيم لابن القيم - رحمه الله تعالى - هذه الفائدة ليس لها نص، ولكنها شرحت، ولعل أقرب نص إليها " حب الدنيا رأس كل خطيئة".  
أيها الأخوة الكرام، الإنسان بعقله الباطن يميل إلى أن يعتقد ما يريعه، لو أن إنساناً يبيع مواد غذائية، وقد ألف أن يغش المسلمين، فإذا حضر درس علم، وسمع حديثاً كقول النبي عليه الصلاة والسلام:

**(( شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي ))**

[أخرجه أبو داود والترمذي عن أنس بن مالك]

يتعلق بهذا الحديث أشد التعلق، ويغيب عنه أن له معانٍ دقيقة جداً لا تغطيه، لكن يتوهم أن هذا الحديث يغطي غشه فيتمسك به، فالإنسان بعقله الباطن يميل إلى أن يعتقد ما يريعه، ويرفض ما يريعه.

أوضح مثل، إنسانان أرادوا أن يشتريا سيارة، الأول اشترى والثاني لم يشتري، سرت إشاعة في البلد أن هناك تخفيضاً



للسوم ، فالذي اشترى يكذب هذه الإشاعة من دون دليل، لأنه إذا صدقها ينزعج كثيراً، والذي لم يشتري يصدق هذه الإشاعة من دون دليل لأنها مريحة جداً.

أخطر شيء في حياة المسلمين أن تعتقد ما يريحك، وأن ترفض ما يزعجك، لذلك الإسلام دين عظيم، دين الله، إلا أن الأطراف الأخرى الذين أرادوا أن يكيدوا لهذا الدين ما استطاعوا أن يواجهوه، لكنهم أرادوا تفجيرهم من الداخل عن طريق الفتاوى، وعن طريق إلغاء السنة، وعن طريق التأويل الباطل، ثلاث وسائل تفجيرية لعظمة هذا الدين ؛ من خلال الفتاوى، ومن خلال

التأويلات الباطلة، ومن خلال إلغاء السنة، فلذلك النقطة الدقيقة أن الإنسان إذا حصل الدنيا أراد أن يبحث عن نصوص تغطي تحصيله للدنيا بطريقة غير مشروعة.

### المؤمن لا يسعد إلا بقربه من الله تعالى:

لكن لا بدّ من التنويه إلى حقيقة خطيرة، العالم الرباني يستدل ثم يعتقد، أما الشهباني يعتقد ثم يستدل، هو يريد ما هو عليه، يبحث في النصوص عن نصوص تؤيد مزاعمه، تؤيد سلوكه، فأخطر شيء أن تتصور شيئاً ثابتاً لا تحيد عنه، ثم تبحث عن دليل له، فقد تقبل دليلاً ضعيفاً، وقد تقبل حديثاً موضوعاً، وقد تقبل تأويلاً باطلاً، ذكرت أن إنساناً ذهب إلى فرنسا لينال الدكتوراه، هذه المدينة الواسعة العريقة فيها جامعات، فيها أسواق، فيها معامل، فيها مؤسسات، فيها مسارح، فيها بيوت سكن، علاقته بهذه المدينة نيل الشهادة، نصيبه من هذه المدينة نيل الشهادة فقط، لو حيل بينه وبين هذا الهدف لغادر المدينة، فإذا قلنا لهذا الذي ذهب إلى باريس لينال الدكتوراه: لا تنسى نصيبك من هذه المدينة، نصيبه من هذه المدينة نيل الشهادة فقط.



هناك من يفهم هذه الآية فهماً آخر، لعله مقبول أحياناً لكنه مرفوض في التطبيقات:

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ

وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا (٧٧) ﴾

(سورة القصص)

أي استمتع بالحياة، هذا التوجه يناقض أحاديث كثيرة:

(( إِيَّاكَ وَالتَّعَمُّعَ فَإِنَّ عِبَادَ اللَّهِ لَيَسُؤُوا بِالْمُتَتَعِمِينَ ))

[أحمد عن معاذ بن جبل]

المؤمن يسعد بقربه من الله، يسعد بزوجة سالحة، بأولاد أبرار، بمأوى نظيف، يسعد بعمل شريف، لكنه لا يسعد بالترف، لا يسعد الترف، وهناك ثمان آيات من كتاب الله المترفون وصفوا وصفاً مذموماً في القرآن الكريم، الترف، البذخ، الإسراف، التبذير.

### تفريغ الصلاة من مضمونها يؤدي إلى إضاعتها:

لذلك الآية الأولى المتعلقة بهذا الموضوع:

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَدْرِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا (٥٩) ﴾

(سورة مريم)

معنى إضاعة الصلاة أي فرغها من مضمونها، أجمع العلماء على أن إضاعة الصلاة لا يعني تركها بل يعني تفرغها من مضمونها.

إله عظيم أمرك أن تصلي في اليوم خمس مرات، هل تتصور هذا الأمر ينفذ كما يفعله المسلمون؟ يقف، ويقرأ، ويركع، ويسجد، وهو في وادٍ آخر، في خواطر أخرى، في هموم معاشه، في مشكلات يعانيتها، هذه الصلاة، هذا الأمر بهذا التنفيذ يليق بخالق السماوات والأرض؟  
( ( ليس كل مصلي يصلي، إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي، وكف شهواته عن محارمي، ولم يصر على معصيتي، وأطعم الجائع، وكسا العريان، ورحم المصاب، وآوى الغريب، كل ذلك لي ))

[ أخرجه الديلمي عن حارثة بن وهب ]

اتباع الشهوات التي لا ترضي الله عز وجل توصل الإنسان إلى الغي:

أيها الأخوة:

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا (٥٩) ﴾

(سورة مريم)

فرغت من مضمونها، ومن أدق ما قرأت في قوله تعالى:

﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩) ﴾

(سورة الشعراء)

القلب السليم الذي لا يشتهي شهوة لا ترضي الله:

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا (٥٩) ﴾

(سورة مريم)

طبعاً ما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا جعل لها قناة نظيفة تسري خلالها، بالإسلام لا يوجد حرمان، لكن هناك تنظيم، أودع فيك حب المرأة، قال لك: تزوج، أودع فيك حب المال، قال لك: اكسبه حلالاً.

ما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا جعل لها قناة نظيفة تسري خلالها:



﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا (٥٩) ﴾

(سورة مريم)

اتبعوا الشهوات التي لا ترضي الله، فسوف يلقون غيًّا، ولقد لقي المسلمون ذلك الغي.

أيها الأخوة الكرام، هذا القلب السليم لا يشتهي شهوة لا ترضي الله، ولا يصدق خبراً يتناقض مع وحي الله، ولا يُحكّم غير شرع الله، ولا يعبد إلا الله، أكبر إنجاز تحصله أن تتال من الله قلباً سليماً ليس فيه حقد على أحد، فيه نوايا طيبة، فيه مقاصد نبيلة، فيه طموحات بطولية، فيه التزام، القلب لا يشتهي شهوة لا ترضي الله، ولا يصدق خبراً يتناقض مع وحي الله، ولا يحكم غير شرع الله، ولا يعبد إلا الله.

### إبتعاد الإنسان عن التمنيات و التطلعات التي لا توصله إلى شيء:

أيها الأخوة الكرام، آية ثانية تؤكد هذه الحالة أن تعتقد أولاً، أن تتصور أولاً، أن تحب أولاً، أن تقم شيئاً لا يرضي الله، وتبحث له عن الأدلة، تقبل دليلاً ضعيفاً بتأويل خاطئ، تقبل تأويلاً خاطئاً لآية، المهم أن تغطي نفسك ببعض النصوص، هذه حالة مرضية وما لم ينجُ المسلم منها فهو في مشكلة كبيرة.

أيها الأخوة الكرام، الآية الثانية:

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا (١٦٩) ﴾

(سورة الأعراف)



والمسلمون في بعض أدعيتهم يا رب نحن عبيد إحسان ولسنا عبيد امتحان، يا رب نحن مقصرون، إن اعترفت بالتقصير ليلاً نهاراً هل تنجو من آثار التقصير؟ أي طالب لم يدرس أبداً، قبل الامتحان قال: يا رب أنت الكريم، أنت القوي، أنت الموفق، أنا لم أدرس أبداً أريد أن تتجني، هذا كلام مضحك، هناك أسباب، وقلت قبل هذا الوقت

هناك قوانين في دين الله ما لم تأخذ بها لن تصل إلى شيء، أما التمنيات، والتطلعات، والتضعع أمام النص الصحيح مثلاً، يا رب لا تسألنا عن شيء، الله عز وجل يقول:

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٣) ﴾

(سورة الحجر)

تريد أن تلغي كتاب الله عز وجل؟ إذاً:

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا (١٦٩) ﴾

(سورة الأعراف)

القصد دعك من التعلقات التي لا تقدم ولا تؤخر، هناك قواعد، وهناك قوانين، أنت حينما تسلك هذا السبيل العلمي، حينما تأخذ بالمقدمات تصل إلى النتائج.

### الله عز وجل سلسل المحرمات تسلسلاً تصاعدياً:

أيها الأخوة، قد تعجبون حينما يقول الله عز وجل:

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ (۳۳) ﴾

(سورة الأعراف)

الفواحش محرمة:

﴿ مَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا (۳۳) ﴾

(سورة الأعراف)

كأن الله عز وجل سلسل هذه المحرمات تسلسلاً تصاعدياً:

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا (۳۳) ﴾

(سورة الأعراف)

### أن تقول على الله ما لا تعلم يقع على رأس المحرمات:

ماذا تتوقعون أن يقع على رأس هذه المحرمات؟ قال تعالى:

﴿ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (۳۳) ﴾

(سورة الأعراف)

أن تئنس الناس من رحمة الله، أو أن تطعمهم بشيء لن ينالوه إلا بعملهم، حينما تتبع حالات، أو طروحات، أو تصورات، أو منطلقات لا أصل لها في الدين، تكون قد قلت على الله ما لا تعلم.

### الله عز وجل خلق كل إنسان بإرادة حرة مخيرة بين الحق و الباطل:

إنسان يقول لك: أنا ليس بيدي شيء هكذا كتب الله علي، ماذا تفعل بقوله تعالى؟

﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾

(سورة الإنسان)

ماذا تفعل بقوله تعالى؟



حب الدنيا رأس كل خطيئة

﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ (٢٩) ﴾

(سورة الكهف)

ماذا تفعل بقوله تعالى ؟

﴿ وَ لِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا ﴾

(سورة الأنعام الآية: ١٣٢)

ماذا تفعل بقوله تعالى ؟

﴿ وَ لِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾

(سورة البقرة الآية: ١٤٨)

ماذا تفعل بقوله تعالى ؟

﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تُخْرِصُونَ ﴾

(سورة الأنعام)

بطولة الإنسان أن تأتي تصوراتَه وفق القرآن الكريم:



أيها الأخوة الكرام، البطولة أن تأتي تصوراتك وفق القرآن الكريم، أن تأتي مقابيلك وفق القرآن الكريم، دائماً أي حدث له تفسيرات، له تعليقات، له طروحات، هناك طروحات أرضية، طروحات شركية، طروحات أساسها الهوى، طروحات أساسها الحقد، البطولة أن تعتمد التفسير الإلهي، أحياناً يجتاح بلد، لهذا الاجتياح تفسيرات

سياسية، تفسيرات دولية، تفسيرات إقليمية، تفسيرات محلية، تفسيرات طائفية، لكن الله عز وجل ماذا يقول ؟

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾

(سورة النحل)

أنا أتمنى أن ترفض أي تحليل أو تفسير أرضي شركي، وأن تعتمد التحليل والتفسير الإلهي في القرآن الكريم.

## لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق:

آية أخرى تؤكد هذه الفائدة القيمة في كتاب الفوائد لابن القيم، قال تعالى:

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا (١٧٥)﴾

(سورة الأعراف)

أي لم يأخذ بها، أخذ بأهوائه:

﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَكَوْشِنَا لِرَفْعَانَهُ بِهَا (١٧٦)﴾

(سورة الأعراف)

لو استسلم لنا، لو أناب إلينا، هذه الآيات رفعناه بها:

﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ (١٧٦)﴾

(سورة الأعراف)

مرة سألني صاحب مطعم يبيع الخمر قال لي: ماذا أفعل؟ أنا في هذا المطعم مكان والدي، والدي لا يوافق، هل يمكن أن تتجو من عذاب الله إذا كنت مطيعاً لوالدك في معصية؟ سيدنا سعد بن أبي وقاص قالت له أمه: إما أن تكفر بمحمد، وإما أن أدع الطعام حتى أموت، فقال: يا أمي لو أن لك مئة نفس فخرجت واحدة واحدة ما كفرت بمحمد فكلي إن شئت أو لا تأكلي .

إذاً هناك قضايا خاضعة للمساومة، أما بحياة المؤمن هناك قضايا لا تقبل المساومة أبداً، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، بالقرآن أمثلة رائعة:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةً فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي

مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١)﴾

(سورة التحريم)

فرعون بكل جبروته، بكل قوته، بكل طغيانه، ما استطاع أن يحمل زوجته على عبادته، في أمور الدين والآخرة يقول له: أَرْضِي عَلَيْكَ إِنْ طَلَقْتَ زَوْجَتِكَ، قال لي: والله زوجتي سالحة، مستقيمة، محببة، لكن أبي لا يحبها، قلت له: لا تطلقها، قال سيدنا عمر عندما أمر ابنه أن يطلق زوجته طلقها، قلت له: أبوك عمر؟ أبوك ليس عمر، سيدنا عمر عندما أمر ابنه أن يطلق زوجته لأمر أخروي، لأمر متعلق بالآخرة، أما أبوك لأمر متعلق بالدنيا ليس في الآخرة.

## العبرة في المقاصد والمعاني لا بالألفاظ والمباني:

لذلك:

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا

فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ (١٧٥)﴾

(سورة الأعراف)



لاتفرغوا العبادات من مضمونها

أي إذا غيرت الاسم يتغير الحكم؟ مثلاً لو قلت: بعثك هذا الكتاب بلا ثمن، هذا عقد هبة، مع أن باللفظ يوجد بيع، لو قلت: وهبتك هذا المصحف بمئة ليرة عقد بيع لا تقل وهبتك بخمسة ليرة، فالعبرة في المقاصد والمعاني لا بالألفاظ والمباني، لذلك:

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا (١٧٥)﴾

(سورة الأعراف)

فرغها من مضمونها، جعلها بتفسير لا يقدم ولا يؤخر، إذاً هذا الذي يؤول الأمور لصالحه، لصالح شهواته، لصالح مكاسبه، لصالح أهوائه هو من تعنيه هذه الآية.

من فرغ الآيات من مضمونها و غوى بعد الرشد سيفارق الإيمان و لن يعود إليه أبداً:

الشيء الثاني: فارق الإيمان ولن يعود إليه أبداً:

﴿فَانْسَلَخَ مِنْهَا (١٧٥)﴾

(سورة الأعراف)

آية قرآنية تفرغها من مضمونها؟ الشيطان أدركه، ولحق به، وظفر به، لذلك:

﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ (١٧٥)﴾

(سورة الأعراف)

وقد غوى بعد الرشد، وأنه سبحانه وتعالى لم يشأ أن يرفعه بالعلم، كان العلم سبب هلاكه، تعلم ليتصل، تعلم ليلغي حكم آية، هذا العلم الخطير أن تتعلم كي تغير وحي السماء. شيء آخر، اختار الأدنى، اختار الدنيا:

﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ

يَلْهَثْ (١٧٦)﴾

(سورة الأعراف)

إن نصحته فهو ضال، وإن تركته فهو ضال.

الابتعاد عن الفتاوى المضللة و التصورات الخاطئة:



تولد وأنت تبكي والبطولة أن تغادر الدنيا ضاحكا

أيها الأخوة، ابتعد عن تصورات غير صحيحة، ابتعد عن فتاوى ضالة، ابتعد عن تفسيرات خاطئة، إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم.

حب الدنيا رأس كل خطيئة



(( ابن عمر، دينك، دينك، إنه لحمك ودمك، خذ عن الذين استقاموا، ولا تأخذ عن الذين مالوا ))

[ العلال لابن أبي حاتم ]

أيها الأخوة، الإنسان حينما يولد كل من حوله يضحك ويفرح وهو يبكي وحده، فإذا وافته المنية كل من حوله يبكي فإذا كان بطلاً يضحك وحده.

(( من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة،

ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأتيه من الدنيا إلا ما

قدّر له ))

[الترمذي عن أنس]

والحمد لله رب العالمين